

قضايا معرفية ومنهجية في تحديد العصر العثماني وتقويم أدبه

د. راتب سكر*

مدخل:

البحوث المعنية بدراسة الأدب العربي وتاريخه نزعة تاريخية تربط الظاهرة بالمرحلة **سادف** الزمنية التي احتضنتها، فانتشرت في كتابات النقاد والدارسين مصطلحات الدور والعصر والعهد وما إلى ذلك من تسميات لتوصيف الظواهر وتحليلها. وقد كان الاجتهاد الشخصي في ضوء التفاعل مع المؤثرات النقدية الأجنبية، واحداً من أبرز المصادر التي غدت تلك النزعة في ظل الغياب الطويل لعمل ثقافي عربي شامل ترعاه مؤسسات علمية تعي أهمية البعد القومي في دراسة التراث العربي، وتستطيع مساندة وعيها المذكور بتوجيه البحث العلمي في سبيله، وتنظيم الملتقيات والمؤتمرات العربية اللازمة للنهوض به.

من الراجح أن تلك الظروف التي أحاطت بدراسة الأدب العربي في تاريخه الطويل الممتد من القرن الرابع إلى القرن العشرين للميلاد، أثرت في مستويات رؤاها ومناظيرها تأثيراً عميقاً نجم عنه توزيع في مناهج البحث وما تقتضيه من مواقف متفاوتة إزاء الظاهرة الواحدة. في هذا المناخ الثقافي تراكمت البحوث والدراسات متنوعة صيغ خطابها النقدي تنوعاً بلغ مراتب بعيدة يتطلب تفهمها العلمي وإخضاعها إلى أحكام القيم، توصيفاً مناسباً يصلح للموازنة والمفاضلة في سبيل دراسة مثلى للأدب.

واجه المؤلف الأكاديمي والثقافي في تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني ونقده، مجموعة من القضايا المنهجية التي تنوعت مواقف الباحثين في النظر إليها، والتعبير عن تجلياتها في مؤلفاتهم. وتعد قضية تحديد العصر العثماني وتقويم الأدب المنجز فيه من أبرز تلك القضايا التي طبعت مؤثراتها المنهجية والثقافية في المؤلفات المعنية بتاريخ الأدب العربي ونقده في هذا العصر.

* رئيس قسم اللغة العربية في جامعة البعث، سورية.

تحديد العصر العثماني وتقويمه بين عصور الأدب العربي:

تأسست الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي، "ومؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني (ت 687هـ - 1288م) قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا إلى بلاد آسيا الصغرى" (1).

كانت هذه الدولة واحدة من الدول العديدة المتتابعة، والتي نشأت على أنقاض الوحدة السياسية للخلافة العربية الإسلامية، بعد أن اعترتها عهود من الضعف، قبل أن تعرف المصير الفاجع وهي تواجه غزو المغول والتتار لعاصمتها التاريخية بغداد في منتصف القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي.

تتابعت تلك الدول العديدة في أمكنة مختلفة من المحيط الجغرافي الذي وهنت خيوط ارتباطه بسلطة الخلافة العربية الإسلامية في بغداد منذ عهود طويلة، قبل انقطاعها النهائي بزوال هذه الخلافة عام 656هـ.

لم يتأثر الأدب العربي بنشأة الدولة العثمانية وتاريخها اللاحق حتى مطلع القرن العاشر الهجري، لأن هذه المرحلة من عمرها والممتدة نحو قرنين ونصف القرن، ظلت خارج الحدود العربية من جهة، وظلت الحياة الأدبية والثقافية ضعيفة في بيناتها من جهة أخرى، كانت معظم البلاد العربية في هذه المرحلة تحت سلطة الدولة المملوكية (648-922هـ) التي اتخذت من القاهرة عاصمة لملكها، مما جعل الباحثين في تاريخ الأدب العربي ونقده يسمون هذه الحقبة من تاريخه بالعصر المملوكي.

تعاني المصادر والمراجع المعرفية الحديثة، لدراسة الأدب في العصر العثماني، من تأثير عميق باختلاف مواقف مؤلفيها من تحديد العصر العثماني: بداية ونهاية، وتقويم الأدب المنجز فيه. ولا بد من الإشارة إلى اختلاف عابر لا يمكن عدّه ذا أهمية، يتعلق بتحديد بداية هذا العصر في عام 922 هـ الذي شهد دخول القوات العثمانية إلى الشام، أو في عام 923 هـ الذي شهد دخولها إلى القاهرة. لأن مثل هذا الاختلاف الزمني الضيق، على الرغم من أهمية دلالاته السياسية، يبقى ذا أثر ضعيف في تحديد عصور الأدب واتجاهاتها. وإذا تمّ غض النظر عن هذا الجانب في مؤلفات الباحثين، فإن جوانب أخرى تبقى ضرورية لتشييد الجسور المعرفية المتلى بين طالب العلم والكتب المؤلفة في دراسة الأدب العربي المنجز في العصر العثماني، وهي في معظمها كتب مدرسية أو جامعية ألقت لتلبي حاجات تعليمية في هذا المجال.

يجد من يطلع على هذه الكتب والمؤلفات، أنها تختلف في قضايا منهجية ومعرفية متعددة ومتداخلة، من أبرزها:

أ- قضية تحديد بداية العصر العثماني والنظر في تداخله مع العصور الأدبية التي سبقتة في تاريخ الأدب العربي.

ب- قضية تحديد نهاية العصر العثماني والنظر في تداخله مع العصر الحديث في تاريخ الأدب العربي.

ج- قضية تقويم الأدب المنجز في العصر العثماني.

إن البحث في تجليات هذه القضايا الثلاث المتداخلة، المعرفية والمنهجية، في البحوث والمؤلفات المعنية، يوفر فرصة علمية مناسبة للتواصل المعرفي الأمثل معها، ويؤسس للنظر في أدب العصر العثماني نظرة شاملة ومتأنية تقيد في دراسة الأدب العربي: تاريخه ونقده.

1-1: تحديد بداية العصر العثماني والنظر في تداخله مع العصور الأدبية السابقة:

في عام 922هـ - 1516م انتصرت الدولة العثمانية على دولة المماليك في معركة مرج دابق شمال حلب، وفي العام التالي سقطت القاهرة عاصمة المماليك في أيدي المنتصرين الذين ضموا البلاد المفتوحة إلى عاصمة ملكهم في استنبول، وبذلك غدا معظم البلاد العربية جزءاً من أجزاء الدولة العثمانية، مما جعل العديد من الباحثين في تاريخ الأدب العربي ونقده يسمون هذه الحقبة من تاريخه بالعصر العثماني، ويتفقون على بدايته في عام 922هـ على الرغم من معرفتهم بأن الحواضر العربية لم تدخل كلها تحت مظلة الدولة العثمانية في العام نفسه، وظل قسم منها يعيش حياة الاستقلال عن إدارة تلك الدولة.

1-1-1: مواقف الباحثين من القضية وتجلياتها في مؤلفاتهم:

تذهب البحوث المعنية بتاريخ الأدب العربي ونقده في مواقفها من مصطلح "العصر العثماني" وتحديد بدايته والنظر في علاقته بالعصور التي سبقته في أربعة مذاهب أو اتجاهات:

أ- الاتجاه الأول: إهمال العصر العثماني وتجاوز دراسة أدبه، في العصر الحديث:

قبل الشروع في تقصي مواقف الباحثين من قضية تحديد العصر العثماني بين بداية ونهاية محددين في تاريخ الأدب العربي، لا بد من الإشارة إلى موقف ظل مؤثراً في الدراسات المعنية بهذا التاريخ طويلاً، ويرتكز على إهمال العصر المذكور إهمالاً تتعدى فيه فرصة تصنيفه عسراً مستقلاً، أو عسراً ملحقاً بغيره من عصور الأدب، ومن الأمثلة المعبرة عن هذا الموقف إهمال المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير للأدب المنجز في العصر العثماني، مسوغاً موقفه بضعف الثقافة والإبداع فيه، إذ يقول: "منذ أواخر القرن التاسع للهجرة.. جف معين الحياة والإبداع الذاتي في الآثار المكتوبة بلغة فصحي، فطويت بذلك صفحة من صفحات الثقافة الإنسانية، ولم توقد جذوة الأدب العربي إلا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي" (2).

ويلاحظ أن موقف بلاشير من أدب العصر العثماني يتكرر بصور مختلفة لدى باحثين عرب

وأجانب، بمثل قول المستشرق الفرنسي أندريه ميكيل: "أدب في سبات، هذا ما نسمعه كثيراً عن الفترة الطويلة الممتدة من القرن الثالث عشر إلى القرن الثامن عشر" (3).

ب- الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن العصر العثماني جزء من عصر أشمل يعود إلى مراحل تاريخية سابقة، ويدرسون أدبه ضمن دراساتهم المعنية بذاك العصر الأشمل الذي تتنوع تسمياته كما تتنوع المواقف من تحديد بدايته ونهايته، وقد عبّر الباحث محمود فاخوري عن طوابع هذا التنوع ومستوياته بقوله: "لم يختلف الدارسون في شيء اختلافهم في تسمية هذه الحقبة.. وفي تحديد بدئها ونهايتها" (4).

ويحاول الدكتور بكري شيخ أمين إيجاد حل للمسألة فيقول: "إن العصور تتداخل والآداب تتشابك والنماذج تختلط، وإنه ليس من سور حديدي بين أدب وأدب أو بين عصر وعصر" (5). ويعدّ موقف المستشرق الإيطالي كارلو نالينو (1872-1938) من أوائل المواقف المعبرة عن هذا الاتجاه في النظر إلى العصر العثماني على أنه جزء من عصر أشمل عاد ببدايته إلى منتصف القرن السابع الهجري وسماه "عصر الانحطاط" فجاء في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية عام 1910 م، ثم جمعت في كتاب قدم له د. طه حسين: "عصر الانحطاط: من انقطاع الدولة العباسية سنة 656 هـ 1258م، إلى استيلاء محمد علي باشا على مصر سنة 1220 هـ / 1805م" (6).

وجاء موقف أحمد حسن الزيات (1885-1968) -في مطلع القرن العشرين- من أبرز المواقف المعبرة عن هذا المذهب، إذ جعل العصر العثماني جزءاً من عصر أشمل، فقال: "العصر التركي: ويبتدئ بسقوط بغداد عام 656 هـ وينتهي عند النهضة الحديثة سنة 1220 هـ عشرين ومئتين وألف للهجرة" (7). وجاء موقف أحمد الهاشمي (1878-1943) ليؤكد ما ذهب إليه معاصره الزيات (8).

كما جاء موقف إبراهيم الكيلاني وزملائه في كتابهم "الوجيز في الأدب العربي" معزراً هذا الرأي إذ عدّوا "عصر الدول الأعجمية من سقوط بغداد حتى مطلع القرن التاسع عشر" (9).

ويأتي موقف حنا الفاخوري في كتابه "تاريخ الأدب العربي" معزراً هذا الاتجاه، إذ يجعل العصر العثماني جزءاً من عصر أشمل، فيقول "العهد التركي 1258-1798م / 656-1213 هـ" (10) وعلى الرغم من إشارة المؤلف إلى انقسام العهد إلى طورين: مملوكي وعثماني، نجده يجمع الحديث عن أدب الطورين في خطاب واحد، مختصراً في ذكر أعلام الطور العثماني وأدبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ويأتي موقف نديم عدي في كتابه "تاريخ الأدب العربي" منسجماً مع هذه الرؤية في تحديد العصر والنزعة إلى اختصار الحديث عن أدب الحقبة العثمانية اختصاراً يكاد يقترب من إهماله (11)، ويجد المتابع موقفاً مماثلاً بمنهجه ورؤيته لدى أصحاب كتاب "الموجز في الأدب العربي وتاريخه" الذي يلحق العصر العثماني بعصر أشمل يمتد من سقوط بغداد في يد هولاكو إلى نهاية القرن الثامن عشر (12) ولكنه يختصر الحديث عن أدب الحقبة العثمانية اختصاراً يقترب من

إهماله، ففي باب الشعر يخصص خمساً وعشرين صفحة للحديث عن خمسة شعراء عاشوا كلهم قبل العصر العثماني.

كما يجد المتابع موقفاً مماثلاً بمنهجه ورؤيته لدى د. عمر الدقاق في كتابه "مواكب الأدب العربي عبر العصور" إذ يجعل عصر الانحدار امتداداً من سقوط بغداد إلى حملة نابليون على مصر، ولكنه يختصر الحديث عن أدب ما يسميه بالعهد العثماني، اختصاراً يقارب الإهمال (13).

يجد من يتابع تجليات هذا الموقف في البحوث المعنية بتاريخ الأدب العربي ونقده، أنه لم يتخل عن الرغبة في دمج العصر العثماني مع عصر أو عصور سبقتة مع تضافر الجهود العلمية وتنوعها على مدارج الأيام، إذ نجد د. شوقي ضيف -في نهاية القرن العشرين- يؤكد فكرة دمج العصر العثماني في عصر أشمل، يعود به إلى مرحلة تاريخية تسبق سقوط بغداد بزمان طويل، فيرى أن عصرأ أدبياً طويلاً تلا العصر العباسي، وهو: "عصر الدول والإمارات الممتد من سنة 334 للهجرة إلى العصر الحديث" (14)، ويسوغ موقفه بضعف الأدب المنجز في هذا العصر من جهة، وبتمائل ظواهره مع ظواهر الأدب في العهود السابقة من جهة أخرى، تلك العهود التي دمجها معه في عصر أدبي واحد، سماه "عصر الدول والإمارات"، فقال عنه: "أدمجنا فيه ما سمي بالعصر العثماني، لأنه لم يكن عصرأ بالمعنى الحقيقي، وإنما كان حقبة مظلمة، تنمى لعصر الدول والإمارات" (15).

إن فكرة الدمج التي جعلت العصر العثماني جزءاً من عصر أشمل، سماه الزيات والهاشمي "العصر التركي"، وسماه د. ضيف "عصر الدول والإمارات"، تجد تجلياتها لدى عدد من الباحثين برؤية أخرى، تعلن تسمية "العصر العثماني"، ولكنها تتمسك بمنهج بحثها فتدمج دراسة أدبه مع دراسة أدب العصر السابق له، وهذا يتضح من الإطلاع على مؤلف د. بكرى شيخ أمين "مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني" الذي يقدم له بقوله: "هذا كتاب في دراسة شعر عصري المماليك والعثمانيين، جمعناه من محاضرات ألقيناها طوال سنوات ثلاث على طلاب السنة الرابعة من كلية الآداب بجامعة حلب (1968-1971)" (16). وإذا كان د. بكرى الشيخ أمين يقدم في كتابه دراسة واحدة لأدب العصرين، فإن بعض الباحثين في هذا المجال قد عد العصر العثماني جزءاً من عصر أشمل، ولكنه خصه بدراسة مستقلة.

ج - الاتجاه الثالث: يرى أصحابه دراسة العصر العثماني مستقلاً، مع تصنيفه ضمن عصر أدبي أشمل.

مال بعض الباحثين إلى تصنيف العصر العثماني ضمن عصر أشمل لكنهم أفرؤا بتميز حقبتيه، فجعلوا دراستهم لأدب العصر الواسع الذي يدرسونه في بابين أو قسمين، يختص الثاني منهما بأدب العهد العثماني، كما فعل أحمد أمين وزملاؤه في كتابهم "المفصل في تاريخ الأدب العربي" إذ جعلوا العصر العثماني واحداً من عصرين يشكلان العصر التركي الذي يمتد من سقوط بغداد سنة 656هـ إلى "بدء النهضة الحديثة" (17)، ثم خصوا كلا من العصرين بدراسة خاصة.

ينسجم موقف د. عمر موسى باشا في كتابه "محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني" الصادر عام 1979 م مع هذه الرؤية، إذ حدد العصر بين عامي (648-1213هـ) وقال: "استمر هذا العصر الذي سنتناول أدبه بالدراسة أكثر من خمسة قرون ونصف القرن من الزمن تقريباً" (18) ثم درس العصر المملوكي في الباب الأول، والعصر العثماني في الباب الثاني.

وهذا ما فعله أيضاً نعيم الحمصي في كتابه "الرائد في الأدب العربي" إذ جعل العصر العثماني جزءاً من عصر أشمل سماه "عهد الانحطاط"، ولكنه أقر بتميز أدبه بفوارق كثيرة، وخصه بدراسة محددة، قدم لها بقوله: "ينقسم هذا العهد إلى دورين: الأول هو الدور المملوكي، والثاني هو الدور العثماني، ونتكلم عن كل منهما على حدة لما بينهما من فوارق في الحياة العامة لها أثرها في اللغة والأدب" (19) وقد استبدل الحمصي في بحثه اللاحقة بتسمية "عهد الانحطاط" تسمية "عصر الدول المتتابعة"، لكنه حافظ على منهجه في دراسة الدور العثماني دراسة مستقلة، وضم إلى العصر جزءاً من العصر العباسي، فقال: أدب الدول المتتابعة، أردنا به الأدب الذي أنتجه أصحابه منذ بدء الحروب الصليبية سنة 489هـ - 1095م حتى بدء النهضة الحديثة" (20).

ويدرس د. جودت الركابي أدب العصر العثماني بتمييزه عن الأدب في العصر المملوكي الذي سبقه، على الرغم من جمعه لهما فيما سماه "عصور الانحدار"، فقوّم الأدب العربي في تلك الحقبة مميزاً عهدها بقوله "تماسك بعض الشيء في العهد المملوكي، ثم انحدر انحداراً واضحاً في العهد العثماني" (21).

وينسجم موقف د. خالد إبراهيم يوسف مع هذا الاتجاه، إذ يقر بوجود عصر عثماني متميز لكنه يصنفه ضمن عصر أشمل تلحق به صفة الانحطاط، فيقول: "يقصد مؤرخو الأدب بالعصرين المملوكي والعثماني، (عصر الانحطاط)، أي تلك الحقبة المظلمة في التاريخ الإسلامي العربي، التي بدأت بسقوط بغداد في يد المغول بقيادة هولاكو سنة 656هـ - 1258 وانتهت مع حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1213هـ - 1798م" (22).

لا بد من الإشارة إلى طبيعة التعامل مع فكرة الفصل والاستقلال لدى الفريق الأول من أصحاب الموقف الذي يرى في الحقبة كلها عصرًا واحدًا، فهم يعترفون غالباً بانقسام تلك الحقبة الطويلة إلى مراحل لكل منها خصوصية مميزة تسمها، لكنها لا تمنحها حق الاستقلال بعصر أدبي، ويستخدم الدارسون مصطلحات الدور والحقبة والعهد وما شابه للحديث عن كل مرحلة، فتتكرر لدى نعيم الحمصي عبارة "عهود الدول المتتابعة" (23) ويقول د. شكري فيصل: "المرحلة الثانية وأسموها الدور العثماني لغلبة العثمانيين على كثير من بقاع العالم الإسلامي" (24).

د-الاتجاه الرابع: يرى أصحابه أن العصر العثماني عصر أدبي ذو خصوصيات تميزه بين عصور الأدب العربي، وتوجب دراسته مستقلاً، منطلقاً من استقلاله بخصوصياته بين عصور الأدب العربي.

يقابل الموقف الذي يجعل الحقبة الزمنية الممتدة بين نهاية العصر العباسي وبداية عصر

النهضة الحديثة عصرًا واحدًا شاملاً، مواقف تمتاز عنه في تخصيص الحقبة المذكورة بعصرين أدبيين يستقل كل منهما عن الآخر سنة 922هـ-1516م وذلك مع انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق شمال حلب، وتقدمهم اللاحق في البلاد العربية.

يستفق الآخذون بهذا التخصيص على تاريخ الفصل بين العصرين، ويتعاملون مع قضيتي بداية العصر الأول، ونهاية العصر الثاني تعاملًا منسجمًا مع لوحة الرؤية المتنوعة والحافلة بالخلاف وتعدد الآراء لأصحاب الموقف الأول الذي يرى في الحقبة كلها عصرًا واحدًا.

تعد كلمات الباحث محمود فاخوري دقيقة في التعبير عن ضرورة الفصل بين العصرين المذكورين، يقول: "درجنا على الفصل بين الحقبتين المملوكية والعثمانية، تبعًا للحكم السياسي، لاختلاف كل منهما عن الأخرى في كثير من الجوانب، ولأن بينهما فروقًا جوهرية في الحياة العامة من ثقافة وفكر وعلوم، وكل ذلك له أثره في الأدب واللغة" (25).

يؤكد د. عمر موسى باشا فكرة الفصل بين العصرين المذكورين فيقول: "وقد رأينا من الفائدة، حين شرعنا في التأليف أن يخص كل عصر بكتاب مستقل، يقتصر الأول منهما على العصر المملوكي بعديهِ الأول والثاني: البحري والبرجي، ويقتصر الكتاب الثاني على العصر العثماني المتقدم والمتأخر" (26).

يعد المستشرق الألماني كارل بروكلمان (1868-1956) من أوائل الباحثين الذين عدوا العصر العثماني عصرًا أدبيًا خاصًا، فقد سمي الأدب العربي المنجز منذ قيام الدولة العباسية سنة 132هـ-750م إلى العصر الحديث الذي تحدد بدايته بمنتصف القرن التاسع عشر، "الأدب الإسلامي باللغة العربية"، وقسمه إلى خمسة أعصر، رابعها هو "عصر الأدب العربي من سنة 1517م حتى أواسط القرن التاسع عشر" (27). ويعد كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" لجرجي زيدان (1861-1914) من أوائل المؤلفات العربية التي اعتمدت منهج تقسيم الأدب العربي إلى عصور تاريخية، والنظر إلى العصر العثماني بوصفه عصرًا أدبيًا مستقلًا، خصه زيدان بدراسة مستقلة ضمها الجزء الثالث من كتابه، وابتدأها بقوله: "العصر العثماني: من فتح العثمانيين مصر سنة 923هـ إلى مجيء نابليون إليها سنة 1213هـ" (28).

ينسجم موقف د. عمر فروخ في بحوثه المعنية بتاريخ الأدب العربي مع مواقف أصحاب هذا الاتجاه، إذ جعل الجزء الثالث من كتابه "تاريخ الأدب العربي" يتوقف عند الفتح العثماني معلمًا بارزًا لتحديد عصور الأدب، فحدد مجال دراسته في هذا الجزء بقوله: "من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني 400-923هـ، 1009-1517م" (29). وجاء حديثه عن العصر العثماني محددًا وواضحًا في كتابه الذي جاء تحت عنوان "معالم الأدب العربي في العصر الحديث" وعني في الجزء الأول منه بالأدب المنجز في القرن العاشر الهجري، مبدئًا رأيه في هذا العصر، بمثل قوله: "العصر العثماني عصر إسلامي الإيمان عربي الثقافة" (30).

شهد موقف د. عمر موسى باشا من قضية العلاقة بين العصر الأدبي العثماني والعصر الذي

سبقة، تغيرات ملموسة منذ مطلع الثمانينات، فبعد أن أصدر في عام 1979 الطبعة الأولى من كتابه "محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني" الذي يعد العصر العثماني مدمجاً مع العصر المملوكي في عصر واحد، نجده في الطبعة الثانية من الكتاب عام 1982، يصدره في جزأين، ويسميه "الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني" بدلاً من التسمية السابقة: "الأدب المملوكي والعثماني" والتي تجعل مفهوم العصر متسعاً للحقبة التي حكم فيها المماليك والعثمانيون. إن التسمية الجديدة التي حملها كتاب د. عمر موسى باشا في طبعته لعام 1982، توافقت مع توسع في مادة الكتاب الذي أصبح الجزء الأول منه معنياً بالعصر المملوكي، بينما أصبح الجزء الثاني منه معنياً بالعصر العثماني، مع احتفاظه بالإشارة في الفصل الثاني من الجزء الأول إلى تحديد العصرين بعصر وتاريخ محدد بين عامي 648-1213هـ بما يوحي أنهما عصر واحد بقوله: "استمر هذا العصر الذي سنتناول أدبه بالدراسة أكثر من خمسة قرون ونصف القرن من الزمن تقريباً" (31)، وهذا التحديد الزمني يتطابق مع التحديد الموجود في الطبعة الأولى من الكتاب عام 1979 ، وهو تطابق ستحرر منه المؤلفات اللاحقة للدكتور عمر موسى باشا، إذ أصدر عام 1989 كتاباً بعنوان "تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي" واستبدل بالتحديد السابق الذي يشمل العصر العثماني تاريخياً، تحديداً أضيق يقف عند بداية العصر العثماني عام 922هـ - 1516م (32). وبذلك يكون د. عمر موسى باشا قد غير من نظريته العلمية التي تدمج العصر العثماني مع العصر المملوكي السابق له في عصر واحد، إلى نظرة جديدة تحدد كلا منهما عصرًا أدبيًا مستقلًا، تخصه بالدراسة في كتاب مستقل.

تؤكد هذا المنهج في تحديد العصر العثماني عصرًا متميزاً ومستقلاً بين عصور الأدب العربي، في العديد من البحوث والدراسات التي عنيت بأدبه، في العقدين الأخيرين، ومن أبرزها كتاب محمود فاخوري "محاضرات في الأدب العثماني" وكتاب د. محمد التونجي "الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العصر العثماني" (33).

1-1-2: خلاصة ورأي في تحديد بداية العصر العثماني وتميزه:

تقدم معرفة النوع المنهجي في دراسات الأدب العربي في العصر العثماني، خدمات معرفية مناسبة للتواصل الأمثل مع منجزاتها العلمية. ولعله من المناسب في هذا المقام الإقرار بأهمية ترسيم حدود العصر، بتمييزه عما سبقه من عصور الأدب، وتحديد بدايته بانتقال السلطات في البلاد العربية منذ عام 922هـ - 1516م إلى الدولة العثمانية.

يرتبط ترجيح هذا الإقرار بالموازنة العلمية بين المواقف المختلفة للباحثين في تاريخ الأدب العربي ونقده من جهة، وبمجموعة من الأسباب الموجبة التي يمكن تلخيصها بما يأتي من جهة أخرى، وأهمها:

أ- المتغيرات الناجمة عن انتقال عاصمة الدولة من القاهرة في قلب البلاد العربية، إلى استانبول البعيدة، مع ضعف وسائل الاتصال.

ب- استبداد الولاة في الولايات العربية، بعيداً عن الرقابة المركزية في العاصمة، وسياساتهم التي غلب عليها الظلم، وغابت عنها مطامح النهضة والإصلاح.

ج- منافسة اللغة التركية للغة العربية في الحياة العامة ومرافقها.

د- انتشار الأمية الواسع في المجتمع العربي.

هـ- المتغيرات الجوهرية في موضوعات الأدب العربي وأغراضه.

و- المتغيرات الجوهرية في الأساليب الفنية للأدب العربي واتجاهاتها.

ز- تراجع الحياة الاقتصادية في البلاد العربية، نتيجة لأسباب خارجة عن إرادة السلطات أحياناً، مثل اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحول بعض خطوط التجارة العالمية عن الأرض العربية.

ح- تردي الشعور النفسي الاجتماعي نتيجة لأسباب خارجة عن إرادة السلطات أحياناً، مثل سقوط الأندلس ووصول أفواج من نازحيها بمشاعر اليأس والانكسار.

ط- تراكم عهود طويلة من الكوارث الصحية والعسكرية والاجتماعية، وأثر كل ذلك في علاقة المجتمع بالأدب والثقافة.

أثرت هذه الأسباب في علاقة المجتمع العربي بالأدب والثقافة في العصر العثماني، مما يستدعي ضرورة دراسته مستقلاً منفصلاً عن غيره من عصور الأدب، ويوفر فرصة مثلى لدراسة منجزات هذا الأدب شعراً ونثراً في عصر امتد على مدارج التاريخ قرناً طويلاً.

تحديد العصر العثماني في مرائي الباحثين

اسم الباحث	شكل علاقة العصر العثماني بما سبقه في دراسات الباحثين
1- ريجيس بلاشير. 2- أندريه ميكيل	إهمال دراسة العصر العثماني وتجاوزه إلى العصر الحديث

اسم الباحث	شكل علاقة العصر العثماني بما سبقه في دراسات الباحثين
<p>1-كارلو نالينو.</p> <p>2-أحمد حسن الزيات.</p> <p>3-أحمد الهاشمي.</p> <p>4-إبراهيم الكيلاني.</p> <p>5-حنا الفاخوري.</p> <p>6-نديم عدي.</p> <p>7-د. شوقي ضيف.</p> <p>8-د. عمر الدقاق.</p> <p>9-د. بكري شيخ أمين.</p>	<p>دراسة أدب العصر العثماني ضمن دراسة عصر أدبي أشمل</p>
<p>1-أحمد أمين وزملاؤه.</p> <p>2-د. عمر موسى باشا.</p> <p>3-نعيم الحمصي.</p> <p>4-د. جودت الركابي.</p> <p>5-د. خالد يوسف</p>	<p>دراسة أدب العصر العثماني مستقلاً، مع تصنيفه ضمن عصر أدبي أشمل</p>
<p>1-كارل بروكلمان.</p> <p>2-جرجي زيدان.</p> <p>3-عمر فروخ.</p> <p>4-د. عمر موسى باشا.</p> <p>5-محمود فاخوري.</p> <p>6-د. محمد التونجي</p>	<p>دراسة أدب العصر العثماني مستقلاً، مع تصنيفه عسراً مستقلاً بين عصور الأدب</p>

**تحديد بداية العصر الذي يشتمل على العهد العثماني
في مرائى الباحثين القائلين بذلك**

اسم الباحث	بداية العصر الذي يشتمل على العصر العثماني
1-د. شوقي ضيف	مع دخول البويهيين بغداد عام 334هـ
1-نعيم الحمصي. 2-د. جودت الركابي. 3-د. بكري شيخ أمين.	مع بداية حملات الفرنجة الصليبية عام 489هـ
1-د. عمر موسى باشا.	مع بداية الحكم المملوكي على مصر عام 648هـ
1-كارلو نالينو. 2-أحمد حسن الزيات. 3-أحمد الهاشمي. 4-أحمد أمين وزملاؤه. 5-إبراهيم الكيلاني. 6-حنا الفاخوري. 7-نديم عدي. 8-د. عمر الدقاق. 9-د. خالد يوسف إبراهيم.	مع سقوط بغداد عام 656هـ

■ **الهُوَ امش:**

- 1- تاريخ الدولة العلية العثمانية، الأستاذ محمد فريد بك المحامي، ط مصورة، 1977 ص39.
- 2- تاريخ الأدب العربي -د. ريجيس بلاشير، ج1، 1956- ص13.
- 3- الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني، د. عمر موسى باشا، ج1، 1980 ص11.
- 4- محاضرات في الأدب العثماني محمود فاخوري، 1992 ص5.
- 5- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د. بكري شيخ أمين، 1972 ص305.
- 6- تاريخ الآداب العربية كارلو نالينو، ط2، 1970، ص59.
- 7- تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات، ط5، 1930 ص5.
- 8- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي، ج1، بلا، تا ص12.

- 25- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط2، 1987 ص 5.
 - 26- تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي، د. عمر موسى باشا، 1989 ص 6.
 - 27- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ج1، تر: د. عبد الحليم نجار، 1960 ص 38.
 - 28- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج3، طبعة جديدة، راجعها وعلق عليها د. شوقي ضيف، بلا، تا ص 289.
 - 29- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ج3، ط3، دار العلم للملايين، 1981 ص 3.
 - 30- معالم الأدب العربي في العصر الحديث، د. عمر فروخ، ج1، 1985 ص 17.
 - 31- الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني، د. عمر موسى باشا، ج1، ط2، 1982 ص 15.
 - 32- تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي، د. عمر، موسى باشا، 1989 ص 29.
 - 33- الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العصر العثماني، د. محمد ألتونجي، 1993.
- قائمة المصادر والمراجع:
- 1- الاتجاهات الشعرية في بلاد الشام في العصر العثماني، د. محمد ألتونجي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1993- (25ص).
 - 2- الأدب العربي في آثار الدارسين، د. شكري فيصل، وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، 1960- (479ص).
 - 3- الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني، د. عمر موسى باشا، ج1، جامعة دمشق، 1980- (19ص).
 - 4- الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني، د. عمر موسى باشا، ج1، ط2، جامعة دمشق، دمشق، 1982- (16ص).
 - 5- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، د. جونت الركابي، ط2، 1996 ص 8.

- 9- الوجيز في الأدب العربي إبراهيم الكيلاني وزملاؤه، 1942 ص 135.
- 10- تاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري، ط2، 1987 ص 857.
- 11- تاريخ الأدب العربي نديم عدي، ج1، ج2، ط2، 1954 ص 359.
- 12- الموجز في الأدب العربي وتاريخه لجنة من الأساتذة في الأقطار العربية، ج5، 1957 ص 3.
- 13- مواكب الأدب العربي عبر العصور د. عمر الدقاق، 1988 ص 179.
- 14- تاريخ الأدب العربي، ج5، عصر الدول والإمارات د. شوقي ضيف، 1980 ص 5.
- 15- تاريخ الأدب العربي، ج6، عصر الدول والإمارات د. شوقي ضيف، ط2، 1990 ص 5.
- 16- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د. بكري شيخ أمين، 1972 ص 5.
- 17- المفصل في تاريخ الأدب العربي أحمد، وزملاؤه أمين، ج2، 1934 ص 188.
- 18- محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني د. عمر موسى باشا، 1979 ص 9.
- 19- الرائد في الأدب العربي بين 132 و 1352 هـ نعيم الحمصي ط2، 1979 ص 565.
- 20- نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه نعيم الحمصي، ج1، طبعة مصورة، 1982 ص 5.
- 21- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار د. جونت الركابي، ط2، 1996 ص 8.
- 22- الانحطاط، مفهوم وواقع، قراءة أولية في أدب ما يسمى بعصر الانحطاط د. خالد إبراهيم يوسف، 1992 ص 13.
- 23- نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة وتاريخه نعيم الحمصي، ج1، طبعة مصورة، 1982 ص 256.
- 24- الأدب العربي في آثار الدارسين، د. شكري فيصل وآخرون، 1960 ص 295.

- 6- الرائد في الأدب العربي بين 132 و 1352 هـ،
نعيم الحمصي، ط2، دار المأمون للتراث،
دمشق، 1979 - (827 ص).
- 7- المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد أمين،
وزملاؤه، ج2، مطبعة مصر، القاهرة، 1934
- (416 ص).
- 8- الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لجنة من
الأساتذة في الأقطار العربية، ج5، دار
المعارف، القاهرة، 1957 - (219 ص).
- 9- الانحطاط، مفهوم وواقع، قراءة أولية في أدب ما
يسمى بعصر الانحطاط، د. خالد إبراهيم
يوسف، دار الهادي، بيروت، 1992 -
(159 ص).
- 10- الوجيز في الأدب العربي، إبراهيم الكيلاني،
وزملاؤه، مكتبة عرفة، دمشق، 1942 -
(221 ص).
- 11- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط5،
مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1930 - (536).
- 12- تاريخ الأدب العربي، نديم عدي، ج1، ج2، ط2
، مكتبة ربيع، حلب، 1954 - (554 ص).
- 13- تاريخ الأدب العربي، د. ريجيس بلاشير، ج1،
مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1956 -
(193 ص).
- 14- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ج1، تر:
د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة،
1960 - (319 ص).
- 15- تاريخ الدولة العلية العثمانية، الأستاذ محمد فريد
بك المحامي، ط مصورة، دار الجليل، بيروت،
1977 - (536 ص).
- 16- تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، ج5،
عصر الدول والإمارات، الجزيرة العربية،
العراق، إيران، دار المعارف، القاهرة، 1980
- (684 ص).
- 17- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ج3، ط3،
دار العلم للملايين، بيروت، 1981 -
- (997 ص).
- 18- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ط12،
المكتبة البولسية، لبنان، 1987 - (1116 ص).
- 19- تاريخ الأدب العربي، د. عمر موسى باشا،
العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، 1989 -
(735 ص).
- 20- تاريخ الأدب العربي، ج7، عصر الدول
والإمارات، د. شوقي ضيف، ط2، دار
المعارف، القاهرة، 1990 - (501 ص).
- 21- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج3،
طبعة جديدة، راجعها وعلق عليها د. شوقي
ضيف، دار الهلال، القاهرة، بلا، تا- (368
ص).
- 22- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،
أحمد الهاشمي، ج1، دار الفكر، القاهرة، بلا،
تا- (432 ص).
- 23- محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، د.
عمر موسى باشا، منشورات جامعة دمشق،
1979 - (405 ص).
- 24- محاضرات في الأدب العثماني، محمود
فاخوري، مديرية الكتب في جامعة حلب،
حلب، 1992 - (201 ص).
- 25- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، د.
بكري شيخ أمين، 1972 - (341 ص).
- 26- معالم الأدب العربي في العصر الحديث، د.
عمر فروخ، ج1، دار العلم للملايين، بيروت،
1985 - (576 ص).
- 27- مواكب الأدب العربي عبر العصور، د. عمر
الدقاق، دار طلاس، دمشق، 1988 - (296
ص).
- 28- نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة
وتاريخه، نعيم الحمصي، ج1، طبعة مصورة،
مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة تشرين،
اللاذقية، 1982 - (216 ص).